العولمة الثقافية

وموقف الإسلام منها

أ.د/ إسماعيل على محمد





الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع: ٣٣٩٩ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: I.S.B.N977-311-090-7



دار تنـــوير للنشر والتوزيع

محمول: ٠١٠٢٧٧٦٧٧٥

Email: tnweer2005@hotmail.com

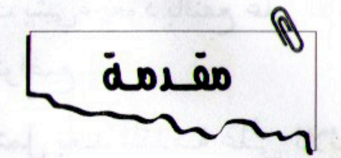
العولمة الثقافية

وموقف الإسلام منها

ا. د. إسماعيل علي محمد
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعتي الأزهر والملك خالد

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾

[النساء: ٥٩]



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه ومن والاه.. وبعد:

فإنه منذ أن أفل نجم الاتحاد السوفيتي البائد، وانتهى كيانه في بداية العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، وخبت بانتهائه جذوة ما كان يعرف بالحرب الباردة بين المعسكر الرأسمالي الغربي، والمعسكر الشيوعي الشرقي؛ منذ ذلك الحين ظهر في الأفق مصطلح العولمة كإحدى أدبيات ومفردات ما يسمى بالنظام العالمي الجديد والذي تتزعمه وتحاول أن تسيطر على زمامه أمريكا.

ثم أخذت الدراسات والنقاشات والبحوث والمؤتمرات في السنوات الأخيرة تزداد بشأن موضوع العولمة وتبحث فيه من جوانبه المختلفة، لكن الملاحظ أن الجانب الاقتصادي من العولمة قد أخذ حظا متميزا ونصيبا وافرا من تلك الأنشطة البحثية والنقاشية، مما صرف الأضواء بعض الشيء عن الجانب الثقافي من العولمة أو العولمة الثقافية مع أنه أخطرها وأشدها حساسية.

من هنا رأيت أن أكتب هذا البحث حول العولمة الثقافية وموقف الإسلام منها؛ لتجلية بعض الأمور المهمة، والتذكير ببعض ما يجب سلوكه واتخاذه بشأن هذا الجانب الخطير، من منظور إسلامي، راجيًا

أن أكون قد أسهمت بشيء يعود بالنفع على الإسلام والمسلمين من خلال هذا البحث المتواضع.

وهذا البحث يشتمل بعد المقدمة على ثلاثة فصول، بينت في الفصل الأول حقيقة العولمة الثقافية وخطرها، ثم ذكرت في الفصل الثاني أخطر مظاهرها ومضامينها، ثم بينت في الفصل الثالث موقف الإسلام من العولمة الثقافية، مضمنًا إياه وضع هذه العولمة في ميزان الإسلام، وواجب العلماء إزاء الموقف الإسلامي من العولمة الثقافية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

ا. د. إسماعيل علي محمد
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعتي الأزهر والملك خالد

الفصل الأول | حقيقة العولمة الثقافية وخطرها

مفهوم العولمة الثقافية:

يتركب مصطلح العولمة الثقافية كما هو واضح من لفظتين، وهما: العولمة والثقافة، وتبيُّن المقصود بهذا المصطلح لابد أن يمر بتبيان مفهوم كل من العولمة والثقافة، وهو ما نشير إليه على النحو التالي:

العولمة:

أصبحت العولمة (Mondialization) من أكثر الكلمات استخدامًا في الأدبيات المعاصرة، وقد تم تعريف العولمة على أنها: إكساب الشيء طابع العالمية، وجعل نطاقه وتطبيقه عالميا[1].

وقد استقرت دلالة مصطلح العولمة على أنها: ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود السياسية الدولية، وتحدث فيها تحولات على مختلف الصعد، تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان، ودون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات

---

(1) العولمة وأثرها على اقتصاديات الدول الإسلامية. محمد آدم، بحث بمجلة النبأ ص٢١. تصدر عن المستقبل للثقافة والعلوم. بيروت العدد (٤٢) ذو القعدة ١٤٢٠هـ شباط ٢٠٠٠ م.

السيادة، أو انتماء إلى وطن محدد، أو لدولة معينة، دون الحاجة إلى إجراءات حكومية(١).

وبدون الإغراق في التنظير للعولمة كما يقرر أحد العلماء يمكننا القول بأنها في صورتها الحالية:

عملية محاولة توحيد الفكر، وتنميط السلوك، وقولبة الأنظمة الحاكمة لحركة حياة البشر في شتى المجالات: الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بالعمل المقصود شبه المخطط لتسييد مفاهيم ومدركات وقيم ومبادئ وسلع وخدمات، وتعميمها على العالم بأسره، بمعنى العمل على نشر أفكار وأشياء واحدة على مستوى العالم أجمع، أو قل إن شئت نمذجة العالم فكريا وسلوكيا وماديا، بحيث تتلاشى عملاً ثوابت ومتغيرات الخصوصية الحضارية، وتختفي فعلاً الهوية والأيديولوجية وتمحى واقعاً الحدود الجغرافية وتضعف تماماً السيادة الفطرية ونكون في واقع الأمر أمام وحدة واحدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية، أو قل إن شئت قرية كونية تفكر التفكير نفسه، وتسلك السلوك ذاته، بنمطيه شبه كاملة(٢).

---

(1) عولمة جسد المرأة. عمرو عبد الكريم. مجلة المجتمع ص ١٨ عدد (١٣١٧) ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ ١٥/ ٩/ ١٩٩٨ م.

(2) الدور الغائب: عالمية الإسلام. د/ عبد الحميد الغزالي آفاق عربية ص ٤. جريدة يصدرها حزب الأحرار بمصر. العدد ٤٥٥. الخميس ٢٢ من المحرم ١٤٢١ هـ ٢٧ أبريل ٢٠٠٠ م.

ويقرر أحد الباحثين أن جوهر عملية العولمة يتمثل في تسهيل حركة الناس وانتقال المعلومات والسلع والخدمات على النطاق العالمي، وتشمل الحركة والانتقالات التي تنتشر عبر الحدود ست فئات رئيسية، وهي البضائع، الخدمات، الأفراد، رأس المال، الأفكار، والمعلومات، والمؤسسات[(١)].

وجدير بالذكر أن النموذج الذي يراد فرضه على العالم في إطار عملية العولمة إنما هو النموذج الغربي عامة، والأمريكي خاصة فهي أي العولمة مرحلة الاجتياح الغربي وخاصة الأمريكي لصب العالم في قالب النزعة المركزية الغربية، على نحو غير مسبوق، ودرجة لم يسبق لها مثيل، بفعل المستجدات الجديدة في بنية الحضارة الغربية، بتزايد فرعونيتها وقارونيتها وبضبط تناقضاتها، وبفعل مستجدات عالم التقنيات، وسلطان المعلومات[(٢)].

يقول توم فريدمان الأمريكي: نحن أمام معارك سياسية وحضارية فظيعة، العولمة هي الأمركة، والولايات المتحدة قوة مجنونة، نحن قوة ثورية خطرة، وأولئك الذين يخشوننا على حق. إن صندوق النقد الدولي قطه أليفه بالمقارنة مع العولمة[(٣)].

---

(1) العولمة وأثرها على اقتصاديات الدول الإسلامية ص ٢٤ (مرجع سابق).

(2) ويسألونك عن العولمة. د/ محمد عماره. سلسلة بحوث بجريدة صوت الأزهر. ص٨ العدد ٣٣. الجمعة ٨ صفر ١٤٢١ هـ ١٢ مايو ٢٠٠٠ م.

(3) العولمة وأثرها على اقتصاديات الدول الإسلامية. ص ٢٨. نقلا عن جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢ مارس ١٩٩٧م.

وقد أكد على أن جوهر العولمة هو النمط الأمريكي، الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش، حين قال في مناخ الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية:

إن القرن القادم سيشهد انتشار القيم الأمريكية، وأنماط العيش والسلوك الأمريكي[١].

وهكذا يتبين لنا أن جوهر العولمة وهدفها كذلك هو تعميم قوانين مشتركة، تأخذ صبغة العالمية، ويخضع لها العالم، وأن من شأنها كما يريد واضعوها أن تضع حدًّا لسيادة القوانين والأعراف، بل والمعتقدات المحلية أو الوطنية.

الثقافة:

وأما الثقافة فهي في اللغة مصدر ثقف، وهذه المادة تدور في كتب اللغة حول معاني: الحذق وتقويم المعوج من الأشياء، والتسوية، والتأديب والتهذيب وهكذا[٢].

وأيضاً: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها[٣].

ولقد غدا مفهوم الثقافة ذا دلالات حديثة واسعة، ليس لها وجود في المعاجم العربية القديمة، ونلمس هذه الدلالات الحديثة من خلال التعريفات الكثيرة للثقافة، ومنها:

---

(1) نقلا عن الأسبوع الأدبي. العدد ٦٠٢ ص ١٩ بتاريخ ١٤/ ٣/ ١٩٩٨م.

(2) راجع على سبيل المثال: أساس البلاغة للزمخشري ص ٨٤. دار الفكر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/ ٩٨.

(3) المعجم الوسيط (الموضوع السابق).

أ- الثقافة: طريقة خاصة تميز أمة معينة عن أمم أخرى وتتمثل في العقائد والنظم، وكل ما هو اجتماعي وخلقي.

ب- الثقافة: هي مجموعة من الأفكار والعادات والموروثات التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها وتنشأ منها عقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها، وجميع الثقافات تتكون وتتطور بعوامل داخلية، وتتأثر ببعض المؤثرات الأجنبية.

ج- الثقافة: هي ذخيرة مشتركة من الأفكار والمشاعر لأمة تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ مشترك، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية مشتركة هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر، والعقيدة الدينية واللغة من العناصر الأساسية للثقافة.

د- الثقافة: هي الكل المركب الذي يتضمن المعارف والعقائد والأخلاق والقوانين والعادات والفنون[1].

وقد أصبحت كلمة الثقافة في الاصطلاح العرفي في اللغة العربية وغيرها تفيد معنى ما يكتسبه الإنسان من دروب المعرفة النظرية، والخبرة العلمية التي تحدد طريقته في التفكير، ومواقفه في مختلف

---

(1) هذه التعريفات للثقافة مأخوذة من كتاب الثقافة العربية، إسلامية أصولها وانتمائها. أنور الجندي ص٢٢ (هامش). دار الكتاب اللبناني بيروت ط الأولى ١٩٨٢م. وكتاب: معلمة الإسلام. أنور الجندي. ص ٥٢٤ وما بعدها. المكتب الإسلامي. بيروت.

ظروف الحياة، ومن أي جهة حصلت تلك المعرفة، وتلك الخبرة، سواء أكانت من البيئة والمحيط والمدرسة والمهنة أم من طرق أخرى غيرها[1].

وهكذا صار مفهوم الثقافة يعني ذلك النسيج الكلي المكون من المعارف أو الأفكار، والعقائد، والنظم، والمبادئ، والأخلاق، والتراث، واللغة والفنون الخاصة بأمة ما، والمميزة لها عن غيرها من الأمم.

هذا عن مفهوم كل من العولمة والثقافة، وعليه فيمكن أن تعرف العولمة الثقافية بأنها محاولة تعميم أفكار ومفاهيم ومبادئ ونظم وقيم ومعتقدات، وأنماط من السلوك والعادات، وطرائق المعيشة الغربية الأمريكية وإعطائها صبغة العالمية، ثم محاولة إحلالها بل وفرضها على حساب الأفكار والثقافات والقيم والمبادئ والأخلاق والأنماط السلوكية والمعيشية الخاصة بالمجتمعات الأخرى، لا سيما المجتمعات الإسلامية.

خطورة العولمة الثقافية:

وهذه العولمة الثقافية الأمريكية الغربية تمثل خطرًا جسيمًا على العالم الإسلامي؛ حيث إن ثقافتها تهدد وتزاحم ثقافتنا الإسلامية، بل إنها تهدد كياننا ووجودنا كله، ومن أوجه خطورتها علينا نحن المسلمين ما يلي:

---

(1) الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية. د/ محمود الخالدي جـ ١ ص ٤٢- ٤٣، دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان ط. الأولى ١٤٠٣ هـ-١٩٨٣ م.

أ- أن ثقافة العولمة تحمل في عروقها وجوهرها قبائح ورزايا المجتمعات الغربية والأمريكية، التي تتعارض تماماً مع الإسلام وطبيعته، ومن ثم لا تتمشى مع طبيعة المجتمعات الإسلامية.

فمثلاً؛ من أعظم رزايا الثقافة الغربية والأمريكية أنها تنطلق من منطلق علماني، يتبنى عزل الدين تماماً عن حركة الحياة ، ويجعله قاصراً على العلاقة الروحية بين الفرد وربه، وأن الدين ينبغي ألا يتجاوز حدود القفص الصدري للإنسان، وإن سمح له بتجاوز هذا الحد، فلا ينبغي له بحال من الأحوال أن يتجاوز جدران بيوت العبادة، وهكذا أقامت هذه الثقافة الغربية قطيعة مع دين الله -تعالى- ومع الوحي.

وأيضاً فإن من أعم مفاسد الثقافة الغربية والأمريكية، أن تيارات الإباحية والفوضى الأخلاقية، تجري منها مجرى الدم من العروق، وتحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وتغشاها وتكتنفها من كل جوانبها، حتى فاقت في إباحيتها وتحللها من القيم النبيلة التي لا تخطئها الفطرة السليمة، كل ما سمعنا عنه في غابر التاريخ، وسالف الأزمان.

بل إن هذه الثقافة الغربية والأمريكية لم تسلم من زحف تيارات الإلحاد والمادية عليها، وتسللها إليها، حتى غدا هذا الأمر سمة من سماتها وملمحًا من ملامحها، تحت شعارات براقة مثل التنوير وغيره من الشعارات، فرأينا تأليهًا للعقل، وكفرًا بالغيب، وإيمانا بالمادة والطبيعة وجحودا بالله الخالق، حتى صارت حياة المجتمعات الأوروبية مادية بحتة، لا مكان فيها للروح وعبادة الله -تعالى- ، وأصبحت عبادة المال والماديات هي المسيطرة.

يقول الصحفي الأمريكي جون جنتر في كتابه في داخل أوروبا: إن الإنجليز إنما يعبدون بنك إنجلترا ستة أيام في الأسبوع، ويتوجهون في اليوم السابع الأحد إلى الكنيسة، ويقول العلامة جود رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن: إن شعار أوروبا هو: لا نستطيع أن نجمع بين عبادة الله وعبادة المال، ويقول: عقيدتنا أن الثروة ولا سواها هي القياس الصحيح لعظمة الفرد.

ويقول كارل ماركس إن المال هو الذي يخلق الأدب والأخلاق والدين والمنطق ونظام الحكومة... ويقول: إن النظام الاقتصادي هو روح الاجتماع، وإن الدين والحضارة وفلسفة الحياة والفنون الجميلة كلها انعكاس لهذا النظام الاقتصادي[1].

تلك بعض ملامح ثقافة العولمة التي يراد تصديرها إلى المجتمعات الإنسانية عامة، والإسلامية خاصة، يتبين من خلالها ما تمثله من خطورة وتحديات لنا.

ب- ومن هنا يبرز وجه آخر من أوجه خطورة العولمة الثقافية، وهو أنها امتداد وتطور خطير لمحاولات تغريب العالم الإسلامي، وصبغه بالصبغة الغربية، وصولا من وراء هذا إلى إذابة شخصيته الإسلامية، وإضاعة هويته، والقضاء على

---

(1) المستشرقون والإسلام. زكريا هاشم زكريا. ص ٢٩٨. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م.

خصوصيته، ومن ثم يتسنى للغرب الهيمنة والسيطرة عليه، وشل بواعث القوة لديه.

فالغرب حريص على أن يكسب اليوم من خلال العولمة الثقافية ما عجز عن كسبه بالأمس، مستغلا في هذا كافة ما وصل إليه العلم الحديث، وما أنتجته الحضارة المادية الغربية، ومسخرًا أجهزة ووسائل عاتية رهيبة من أجله.

وجدير بالذكر أن الغرب على اختلاف أهله لا ينفك عن رغبة في القضاء على الإسلام، والصد عنه، وإخراج أهله منه، والكيد لهم، وهذا يتضح من خلال سلوك الغرب ومواقفه حيال القضايا الإسلامية في شتى المحافل الدولية والإقليمية، بل يسمع المرء ويطالع أحيانًا اعترافات وتصريحات من بعض المسئولين الغربيين، تفضح دسائسهم، وتكشف سرائرهم، وتظهر خبيئاتهم نحو الإسلام.

فقد خرج مسئول فرنسي في وزارة الخارجية سنة ١٩٥٢، قال: ليست الشيوعية خطرًا على أوروبا فيما يبدو لي، فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة، وإذا كان هناك خطر فهو خطر سياسي عسكري فقط، ولكنه ليس خطرًا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والإنساني للزوال والفناء.

إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديدًا مباشرًا وعنيفًا هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي،

فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص، ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى (الاستغراب) أي دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارة الغربية[١].

ويقول ألفريد كانتول سميث:

إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية إلى العالم الإسلامي بغرض إذلاله وتحقيره، وإشعاره بالضآلة والخنوع، وإن الغرب وقف في صف الصهيونية ضد العرب والمسلمين متأثرًا بتلك العداوة القديمة بين المسيحية والإسلام[٢].

ولقد قرأنا لبعض دعاة التبشير الغربي قولهم:

لقد حرصت أوروبا بمختلف الوسائل على تحطيم قيم الثقافة العربية واللغة العربية، والدين والتراث في نفوس الشرقيين والمسلمين العرب، وزعزعة العقائد، وذلك لتدمير هذه القوة الروحية الضخمة التي تكونت لهم في الشرق، وكانت عاملاً ضخما في منحهم القوة على مقاومة كل استعمار، ومواجهة كل ظلم[٣].

---

(1) معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري. أنور الجندي ص ١١٣. دار الاعتصام.

(2) من التبعية إلى الأصالة، أنور الجندي ص ١٦، ط الثالثة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(3) معالم التاريخ الإسلامي المعاصر ص ١٦٩.

وهكذا نرى أن العولمة الثقافية محاولة من الغرب للقضاء على الهوية الإسلامية، وقتل الذاتية الإسلامية للعالم الإسلامي، رغبة في السيطرة عليه، وتنفيسًا عن أحقاد وضغائن لم تطفئها الأيام، وصدق الله القائل: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[1].

ج- ومن أوجه خطورة العولمة الثقافية، أن العولمة - بشكل عام - ينشأ عنها تدابير وإجراءات لفرض ما تتضمنه وما تدعو إليه، وهذه القوانين أو الإجراءات والمضامين من شأنها أن تلغي مفعول القوانين والتقاليد والأعراف المرعية والمعمول بها في البلاد المحلية والوطنية - لاسيما الإسلامية - وذلك عبر المؤسسات الدولية، سياسية كانت كهيئة الأمم المتحدة، أو اقتصادية كانت كصندوق النقد الدولي أو البنك الدولي، أو منظمة التجارة العالمية، إلى حد يصل إلى فرض عقوبات على الدول والبلدان التي تتمرد على الخضوع لمقررات العولمة، وما تفرضه من أنماط مختلفة، عن طريق ما يسمى بالمجتمع الدولي أو الإنساني، أو المجموعة الإنسانية، التي يراد لها أن تحل محل الجماعة أو السلطة الوطنية المحلية في هذا البلد أو ذاك.

وقد يفرط البعض في الوهم، أو يوغل في الخداع، حينما يحاول أن يقنعنا بأن ما تتمخض عنه المؤتمرات الدولية التي تتبناها مثل هيئة

---

(1) سورة البقرة: ٢١٧.

الأمم المتحدة، في إطار موضوع العولمة، إنما هي مجرد توصيات لا غير! كلا، بل إن الأمر يأخذ بعدًا أكبر؛ إذ سرعان ما تتحول إلى قرارات ومواد قانونية ملزمة للدول المشاركة، ومنها الدول الإسلامية بطبيعة الحال، ثم تنبثق لجان وهيئات لمتابعة تنفيذ تلك القرارات على أرض الواقع، ورفع تقارير بهذا الخصوص إلى المنظمة الدولية، التي تملك من الوسائل الفعالة ما تضغط به على هذا القطر أو ذلك، في حين أن كثيرًا من الدول والشعوب لا تملك وسائل الرفض والممانعة.

وهكذا نرى الغرب وأمريكا خاصة، يحاولان فرض الثقافة الغربية والأمريكية، من خلال عملية العولمة بالترغيب والترهيب، بل وأحياناً بالسوط والعصا، فالدولة التي تلتزم بمقررات مؤتمرات العولمة يلوح لها بالجوائز والمساعدات والمنح والتكريم، والدولة التي لا تلتزم –خاصة إذا كانت من الدول الإسلامية– تعد لها التهم ويشنع عليها في شتى المحافل الدولية، ويلوح لها بالحرمان وغيره من العقوبات، وسائر ألوان الضغط والتأثير.

أخطر وسائل العولمة الغربية الأمريكية:

هذا، وتعد الهيئات والمنظمات الدولية أخطر وسائل نشر وتكريس مفاهيم ومضامين العولمة الغربية والأمريكية، لاسيما ما يتعلق منها بالجانب الثقافي، الذي نحن بصدد الحديث عنه، وهي هيئات مسموعة الكلمة، وتملك من وسائل الضغط والتأثير الكثير، كما أن الغرب له

عليها نفوذ كبير، وسيطرة ملحوظة، وكذلك أمريكا، ثم إن هذه المنظمات والهيئات تملك من وسائل الإعلام والدعاية الكثير أيضاً.

ومن تلك الهيئات والمنظمات الدولية المعروفة بسيطرة الغرب عليها: منظمة الأمم المتحدة، ومنظمة اليونسكو التابعة لها، هذه المنظمات وأمثالها من أخطر وسائل العولمة الثقافية.

ومن أخطر وسائل العولمة أيضاً خاصة الثقافية؛ المؤتمرات التي تتبناها وتعقدها الهيئات والمنظمات الدولية، وهذه المؤتمرات تشارك فيها المنظمات والدول العربية والإسلامية، ثم تتمخض عنها قرارات لها صلاحية التنفيذ في الدول الأعضاء، وغالباً ما يكون تنفيذها في بلادنا نحن المسلمين والعرب بشكل أكبر من غيرنا.

وحينما نتأمل في مضامين ومقررات هذه المؤتمرات المرتبطة بتلك المنظمات والهيئات الغربية، نجد أنها تفرز مخططات تستهدف عقيدة الأمة الإسلامية وتاريخها، وشريعتها وأخلاقها، وكل جوانب ثقافتها وشئون حياتها.

وفيما يتعلق بالعولمة الثقافية فإن منظمة الأمم المتحدة قد توالت مؤتمراتها بهذا الخصوص، مثل مؤتمر نيروبي عام ١٩٨٥م، ومؤتمر القاهرة عام ١٩٩٤م، ومؤتمر بكين عام ١٩٩٥م ثم أسطنبول عام ١٩٩٦م ثم مؤتمر نيويورك عام ١٩٩٩م ثم مؤتمر بكين الخامس في نيويورك أيضاً عام ٢٠٠٠م، ومحور هذه المؤتمرات يدول حول الأسرة

والمرأة والطفل، مركزًا على الحقوق الجنسية، والحق في الإنجاب والإجهاض، والشذوذ، وقضية المساواة بين الرجال والنساء، والمساواة في الميراث...إلخ وكل هذا من منظور الثقافة الغربية العلمانية المادية الإباحية.

«وفي هذه النوعية من المؤتمرات تظهر محاولة الاستغناء عن الأسرة التي نعرفها، كما يتضح في المصطلحات المستخدمة في الإشارة إلى الطفل الذي ولد خارج إطار الزواج والأسرة، فهو لم يعد طفلاً غير شرعي Illegitimate كما في الماضي، بل أصبح مولودًا خارج الزواج Out of web lock، ثم يتطور الأمر ليصبح طفلا طبيعيًّا Natural Baby، وأخيرًا طفل الحب والجنس Love Baby، والبقية تأتي»[1].

وسوف نعرض -إن شاء الله- لبعض مضامين تلك المؤتمرات بشيء من التفصيل بعد قليل.

ومن الوسائل الخطيرة التي تسخر لتكريس ونشر ثقافة العولمة الغربية والأمريكية، بعض الجمعيات والمؤسسات الأهلية في كافة الأقطار، وخاصة الأقطار الإسلامية، وبالذات الجمعيات والمؤسسات العاملة والمسجلة في مجالات الشئون الاجتماعية، مثل الجمعيات النسائية وغيرها، حيث تقوم هي الأخرى بعقد الندوات والمؤتمرات

---

(1) عولمة جسد المرأة. عمرو عبد الكريم . مجلة المجتمع (مرجع سابق) ص ١٩، نقلا عن د/ عبد الوهاب المسيري. العلمانية الشاملة، رؤية جديدة ص ١٧٦.

المحلية والإقليمية التي تروج لثقافة العولمة، وتبشر بها، وتلح عليها، مصادمة بذلك عقائد المجتمعات التي تنتمي إليها، وتنتسب إلى أهلها، وهذه الجمعيات الأهلية كثير منها له صلات مشبوهة، وعلاقات مريبة بكثير من دوائر ومنظمات الغرب المعادية للإسلام، فضلا عن أنها تلقى دعم الغرب إعلاميًا وماديًا، كما أن الحكومات العلمانية في بعض الأقطار الإسلامية لا تبخل هي الأخرى بمساعدة تلك الجمعيات وأشباهها، والاحتفاء برموزها والقائمين عليها، وتبني طروحاتها وخططها.

وكان من آخر ما قرأنا عنه بهذا الصدد ما قامت به الجمعيات الأهلية النسائية العلمانية ذات التوجه الغربي في المغرب مع الحكومة هناك بطرح مشروع خطة تسمى «خطة العمل الوطنية لإدماج المرأة في التنمية»، متخذة من مقررات مؤتمرات الأمم المتحدة في نيروبي والقاهرة وبكين وغيره، منطلقًا لها، وملهمًا لمضمونها، الذي وصفته رابطة علماء المغرب بأنه مخالف تماماً للشريعة الإسلامية[1].

وقد كشف عن بعض مضمونها الدكتور أحمد الريسوني رئيس حركة التوحيد والإصلاح المغربي فقال:

بصفة خاصة هذه الخطة تتضمن المطالبة أو السعي نحو إلغاء عدد ن الأحكام الإسلامية المسلمة والثابتة، وقد طالبت صراحة بإلغاء

(1) المرأة في المغرب: تنمية أم عولمة. بحث مكتوب على موقع Islam Onlin بشبكة الإنترنت.

الفصل الثاني من مظاهر العولمة الثقافية

ولقد كان للعولمة الثقافية، أو ثقافة العولمة الغربية والأمريكية مظاهر كثيرة، وصور عديدة، تجلت من خلال الطروحات والأفكار والبرامج التي كانت محور عمل وبحث مؤتمرات الأمم المتحدة في السنوات الأخيرة، وكان من أبرزها الرؤى والأفكار والخطط المطروحة بشأن قضايا الأسرة والمرأة والطفل، من منظور مخالف للشرائع الإلهية عامة، وللشريعة الإسلامية خاصة، بل من منظور لا يعتمد في مرجعيته على أية خلفية دينية، وفقًا للواقع الغربي القائم على إبعاد الدين عن شئون الحياة تماماً، وفصله عن كل ما يتعلق بشئون الإنسان المعاشية.

وقد عقدت منظمة الأمم المتحدة مؤتمرًا في نيويورك في الفترة من ٥ - ٩ من يونيو عام ٢٠٠٠م، عرف بمؤتمر «بكين الخامس المرأة عام ٢٠٠٠م كانت وثيقته الرئيسية تكرارا لما جاء في وثائق المؤتمرات السابقة، من حديثٍ حول الحقوق الجنسية والإنجابية، وحق الإجهاض، والشذوذ، والمساواة بين الجنسين، والمساواة في الميراث،

كما تبنت مفاهيم عجيبة للأسرة، في محاولات مستميتة لعولمة الرذيلة، وتدمير الأسرة وفرض الإباحية على العالم(١).

وقد وجه أمين عام رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة رسالة مطولة إلى رئيس المؤتمر، وفند فيها بطريقة علمية كل ما جاء في نصوص الوثائق التي تم تقديمها في مؤتمرات الأمم المتحدة الخاصة بالمرأة(٢).

وقد كشفت رسالة الرابطة المذكورة عن كثير من مظاهر ومضامين ثقافة العولمة الغربية الأمريكية، نقل عنها بعض ما رصدته من هذه المصادر -بإيجاز يتناسب مع المقام- على النحو التالي(٣).

---

(1) أحدث محاولة لتدمير الأسرة وفرض الإباحية على العالم، مجلة المجتمع ص ٢٩ بتصرف. تصدر عن جمعية الإصلاح الاجتماعي. الكويت . العدد ١٤٠٤ - ١١ ربيع الأول ١٤٢١ هـ ١٣/ ٦/ ٢٠٠٠ م.

(2) السابق (نفس الموضوع).

(3) هذه الرسالة نشرتها مجلة المجتمع (نفس العدد السابق) ص ٣٠ وما بعدها، ويراجع لمن أراد التعرف على المزيد من محتويات وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة بهذا الصدد مجلة المجتمع عدد ١٣١٧ بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٣ هـ ١٥/ ٩/ ١٩٩٨ عولمة جسد المرأة، وكتاب: وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، رؤية شرعية. د/ الحسيني سليمان جاد، كتاب الأمة صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية قطر العدد٥٣ الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٦م، وهو يعنى بالحديث عن وثيقة مؤتمر السكان بالقاهرة عام ١٩٩٤م، ولمن أراد الاطلاع على بعض مبادئ وثيقة مؤتمر المرأة والسكان في بكين عام ١٩٩٥م، أولئك حزب الشيطان، للشيخ عبد القادر الزمزمي. مقال بجريدة التجديد (تصدر في المغرب) ص١٥ عدد (٥٧) ١٧ذو القعدة ١٤٢٠ هـ ٢٣ فبراير ٢٠٠٠ م، والعدد ٥٤ من الجريدة المذكورة بتاريخ ٢٦ شوال ١٤٢٠هـ ٢/ ٢/ ٢٠٠٠م.

الدعوة لإلغاء الميراث:

يتضمن المشروع الذي قدمته هيئة الأمم المتحدة لمؤتمر السكان والتنمية في القاهرة عام ١٩٩٤م أنه «...يلزم بذل جهود خاصة في مجال التعليم والإعلام للتشجيع على معاملة البنات والأولاد على قدم المساواة فيما يتعلق بـ : التغذية والرعاية الصحية، وحقوق الميراث والتعليم، والنشاط الاجتماعي، والاقتصادي والسياسي».

العمل على هدم الأسرة:

يدعو برنامج هيئة الأمم المتحدة إلى التسليم بتغيير شكل الأسرة خلافاً لما يدعو إليه دين الإسلام والرسالات السماوية الأخرى، حيث إن البرنامج يرى «أن عملية التغيير الديمجرافي والاجتماعي – الاقتصادي السريع في أنحاء العالم أثرت على أنماط تكوين الأسرة والحياة الأسرية، فأحدثت تغييرًا كبيراً في تكوين الأسرة وهيكلها، أما الأفكار التقليدية للتقسيم على أساس الجنس للمهام الأبوية والمهام المنزلية فلا تعكس الحقائق والتطلعات الراهنة.

بل يصرح برنامج الأمم المتحدة أن الأهداف تتمثل في وضع سياسات وقوانين تأخذ في الاعتبار تعددية أشكال الأسرة، كما يطالب الحكومات أن تقيم وتطور الآليات الكفيلة بتوثيق التغييرات وأن تجري الدراسات بصدد تكوين الأسرة وهيكلها، وفي هذا ما فيه من العمل –تحت هذه العبارات الغامضة المطاطة –على تشجيع الاعتراف

بالأسرة التي تتكون خارج الإطار الشرعي- سواء كانت بين رجل وامرأة بدون زواج أو بين امرأتين كذلك، وهذا شيء يتناقض تناقضا صريحاً مع الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه الرامية لصالح البشر جميعاً، كما يتعارض مع المسيحية واليهودية.

فلا سبيل في الإسلام لتكوين أسرة إلا عن طريق الزواج القائم على عقد بين الرجل والمرأة وفق القواعد الشرعي المنظمة لذلك.

ومخالفة هذا الطريق الذي بينه التشريع السماوي لتكوين الأسرة دمار للأسرة وهدم لها، وقطع لدابر النسل البشري، ولا يمكن فرضه على المسلمين، والسعي في فرض مثل هذه الأمور هو إعلان حرب على المسلمين وعلى دينهم، وليس له سند من ميثاق الأمم المتحدة.

رفع ولاية الآباء عن أولادهم:

ورد في برنامج هيئة الأمم المتحدة «يجب ضمان الوصول إلى الخدمات المتعلقة بالصحة الجنسية والتناسلية بما في ذلك منع حالات الحمل المبكر والتثقيف الجنسي والوقاية من فيروس نقص المناعة البشرية «الإيدز» وغير ذلك من الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي، ويجب ضمان سريتها وخصوصيتها بدعم وتوجيه الوالدين، وبما يتمشى مع اتفاقية حقوق الطفل».

وكما هو واضح، ففي هذا رفع لولاية الآباء عن الأبناء من خلال الاحتفاظ لهم بالخصوصية والسرية، فيما يتعلق بالخدمات المتعلقة

بالصحة الجنسية والتناسلية، بل يطالب البرنامج بدعم وتوجيه الوالدين لأولادهما فيما يتعلق باستعمالهم لهذه الخدمات، وهو توجيه يهدف إلى رفع ولاية الآباء عن أبنائهم من حيث الرقابة الأخلاقية والتربية السوية، وحماية المراهقين والمراهقات عند تعاطيهم الجنس، والاحتفاظ بسلوكياتهم الشخصية في سرية عن آبائهم.

رفع سن الحد الأدنى للزواج:

يرى البرنامج تشجيع الأطفال والمراهقين والشباب، وخاصة الشابات، على مواصلة تعليمهم لتهيئتهم لحياة أفضل، وزيادة إمكاناتهم البشرية للمساعدة في الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة، كما يدعو إلى أن تعمل البلدان على إيجاد بنية اجتماعية - اقتصادية، تقضي إلى إزالة الترغيب في الزواج المبكر.

وهذا يعني أن البرنامج يدعو إلى رفع سن الراغبين في الزواج، عن طريق محاربة الزواج المبكر لدى الشباب من الجنسين.

إباحة الزنا:

كذلك ورد في برنامج الأمم المتحدة ينبغي أن يكون الهدف مساعدة الأزواج والأفراد على تحقيق أهدافهم التناسلية، وإعطائهم الفرصة الكاملة في ممارسة حق الإنجاب باختيارهم والمقصود بالأفراد هم غير المتزوجين من الناس.

ومن ذلك تتضح الدعوة إلى إلغاء القوانين التي تحد من ممارسة النشاط الجنسي الذي هو فطرة وجه الإسلام إلى الطريق الأمثل لتفريغها وعمارة الكون على أساسها، وقد ورد مثل ذلك في الفقرات ٧ - ٨ من وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، التي تضمنت أنه ينبغي على الحكومات أن تسهل على الأزواج والأفراد تحمل المسئولية عن صحتهم التناسلية والجنسية بإزالة ما لا لزوم له من عواقب قانونية وسريرية وتنظيمية تقف في وجه اكتساب المعلومات والحصول على خدمات وأساليب تنظيم الأسرة.

ومثل ذلك المناداة بحقوق المراهقين الجنسية؛ حيث ينص البرنامج على أنه ينبغي أن تتوافر للمراهقين المعلومات والخدمات التي تساعدهم في فهم حياتهم الجنسية، وحمايتهم من حالات الحمل غير المرغوب فيه، ومن الأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي، ومن خطر العقم بعد ذلك.

وحول سرية العلاقات، ونتائج الممارسات الجنسية ينص البرنامج على أنه يجب أن تزيل البلدان العوائق القانونية والتنظيمية والاجتماعية التي تعترض سبل توفير المعلومات والرعاية الصحية الجنسية والتناسلية، كما يجب أن تضمن ألا تحد مواقف مقدمي الرعاية الصحية من حصول المراهقين على الخدمات والمعلومات التي يحتاجونها، وفي إنجاز ذلك، لابد للخدمات المقدمة إلى المراهقين أن

تضمن حقوقهم في الخصوصية والسرية والموافقة الواعية والاحترام... إلى غير ذلك.

إباحة الإجهاض:

إن برنامج هيئة الأمم يتحاشى النص على إباحة الإجهاض صراحة، بيد أن المدقق بشم رائحة هذه الإباحة، بل الدعوة إلى الإجهاض في مواطن كثيرة من البرنامج.

فعلى سبيل المثال نجد النص التالي: ينبغي أن تكون برامج الرعاية الصحية التناسلية الجنسية مصممة لتلبية احتياجات المرأة والفتاة المراهقة.

بل نجد ما هو أشد من ذلك «معالجة قضايا المراهقين المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية بما في ذلك الحمل غير المرغوب فيه، وكذلك ينص البرنامج على أن يتعين على البلدان - بدعم من المجتمع الدولي - أن تحمي وتعزز حقوق المراهقين في التربية والمعلومات والرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية، وأن تخفض عدد حالات حمل المراهقين تخفيضا كبيرًا» .

وهذا الاتجاه من البرنامج مناقض لأبسط مبادئ الإنسانية ولتعاليم الرسالات السماوية ولأحكام الدين الإسلامي.

فجمهور علماء الإسلام يرون أن إسقاط الحمل (الإجهاض) محرم مطلقًا، إذ هو قتل لنفس محرم قتلها، حتى ولو كان الجنين ناتجًا عن زنى أو اغتصاب أو غير ذلك، إلا إذا كان ذلك الجنين يمثل تهديدًا

لحياة الأم، أو أن الجنين لن يخرج سويًا، على تفصيل لدى المجامع العلمية الفقهية.

كما لا يجوز إسقاط الجنين بسبب العوامل الاقتصادية القائمة أو المتوقعة، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[1].

وقوله تعالى ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾[2].

الضلال في معالجة الإيدز:

يرى البرنامج أن نسبة الإصابة بالأمراض المنقولة بالاتصال الجنسي على نطاق عالمي مرتفعة وآخذه في التزايد، وقد ازدادت هذه الحالة سوءًا بشكل كبير مع ظهور وباء فيروس نقص المناعة البشرية.

ويرى البرنامج للخلاص من هذه المشكلة «أنه ينبغي أن يصبح تشجيع استخدام الواقي الذكري جيد النوعية، وتوريده وتوزيعه - بصورة موثوقة- عنصرًا لا يتجزأ من جميع خدمات الرعاية الصحية التناسلية، وينبغي على جميع المنظمات الدولية ذات الصلة -ولاسيما منظمة الصحة العالمية- أن تزيد بصورة كبيرة من شرائه».

---

(1) سورة الأنعام: ١٥١.
(2) سورة الإسراء: ٣٢.

كما ينبغي العمل على إتاحة الواقي والعقاقير للوقاية والعلاج من الأمراض المنقولة عن طريق الاتصال الجنسي على نطاق واسع وبأسعار متهاودة مع إدراجها في جميع قوائم العقاقير الأساسية.

كما ينبغي لدوائر البحوث أن تعمل بالذات على دعم وتعزيز الجهود المبذولة حاليا لإيجاد لقاح، ولتطوير طرائق تتحكم فيها المرأة، ومن ذلك - مثلاً - مبيدات الميكروبات المهبلية من أجل الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية.

إن هذه حلول يصدق عليها قول القائل: «وداوها بالتي كانت هي الداء»، فهي تقر الخطأ وتعالجه بخطأ أشد فحشًا منه، كما أنها لا تقي الإنسان من هذا الداء الوبيل والخطر الداهم، وإضافة إلى ذلك، فهي حلول تخالف الشريعة الإسلامية في العلاج أو الوقاية من هذه الأمراض الناتجة عن شيوع الفاحشة.

تحديد النسل بسبب الرزق:

يركز البرنامج دون مواربة على أن الدعوة لتحديد النسل والقوانين والتدابير المطلوب اتخاذها لنجاح هذا الهدف هي بسبب الموارد الغذائية الموجودة في العام والآخذة في التناقص والندرة، وفي هذا إغفال كامل لخلق هؤلاء البشر وتجاهل كامل لقدرته -سبحانه وتعالى- على رزقهم وعلى تدبير الموارد اللازمة لهم، وفيه كذلك إغفال لدور هؤلاء البشر في إنتاج الموارد التي أودعها الله تعالى لهم في هذا الكون وأمرهم

باستخراجها وحسن الإفادة منها، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى* لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾[١].

ويقول العلماء المسلمون في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ إشارة إلى أنه تعالى حبا في تراب كل بلد من الخيرات ما يكفي أهلها أن يعيشوا بسببه في رفاهية من الحياة إلى آخر الزمان لو استخرجوه، ومن هنا فالفقر ليس بسبب ندرة الموارد، بل بسبب التكاسل من البشر أو بسبب من الطغاة واستبداد الأنظمة.

ومن هنا فالدعوة لتحديد النسل بسبب ندرة الموارد وانعدامها أو توقع ذلك مبعثها إما جهل بالله تعالى وبقدراته، وإما إنكار لوجود الله تعالى، أو قدرته، وكذلك هي تجهيل للناس بأن الموارد الغذائية الموجودة بالفعل في الأرض تكفي سكانها مع عدالة التوزيع، وسلامة الاستهلاك.

بل هي تجهيل الناس وتخويفهم حينما يقولون إن عدد سكان العالم في القرن العشرين قد ازداد بما يعادل عشرة أضعاف الزيادة في القرن التاسع عشر، وفي الوقت نفسه يخفون عنهم أن الإنتاج العالمي من الموارد الغذائية الاستهلاكية قد ازداد بأكثر من خمسة عشر ضعفاً إلى نسبة زيادته في القرن التاسع عشر.

---

(1) سورة طه: ٥، ٦.

بل هي تجهيل أكثر للناس وتخويف لهم أكثر حينما يخفون عنهم أن الإنتاج العالمي الحالي يكفي لتأمين معيشة كريمة لأكثر من عشرين مليارًا من البشر، لولا الخلل في توزيع الإنتاج. أ. هـ.

وهكذا نجد أن كل وثائق مؤتمرات الأمم المتحدة بهذا الخصوص تلح دائماً على هذه القضايا، وتصر على تلك الطروحات التي لا تجني البشرية من ورائها إلا الدمار والشقاء.

خطورة هذه الثقافة على المجتمعات الإنسانية:

إن هذه الطروحات وأمثالها مما حوته ثقافة العولمة الغربية الأمريكية لتنذر بشر وبيل، وضرر مستطير، وخطر ماحق يهدد المجتمعات الإنسانية، في حاضرها ومستقبلها؛ لأنها سبيل إلى ضياع الفضائل، وانحطاط الأخلاق، وانتكاس الفطرة، وتردي الإنسانية في حماة الفساد والرذيلة.

وهذه الثقافة تعمل جاهدةً على تحطيم كل القيم الدينية، والحواجز الأخلاقية التي إن تحطمت في حياة مجتمع كان على شفَا جرفٍ هارٍ، يوشك أن ينهار به في الجحيم والشقاء.

إن للأخلاق الحسنة التي جاء بها الدين الإلهي أهميتها البالغة، وآثارها العظيمة الخالدة في حياة الأمم، فإنه متى سادتها الأخلاق الكريمة، دبت في أوصالها العافية، ورفرفت في أرجائها السعادة، ومتى عمتها الأخلاق الوضيعة، وانتشرت فيها الفوضى الخلقية، سارع إليها

الفناء، وسارعت إليه، وحل بها الشقاء، ونزل بها الهلاك، بل إن بعض الأخلاق الذميمة - وليس جميعها - جدير بأن يهلك أمة من الأمم، كما في حديث النبي ﷺ، الذي يقول فيه: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[١].

ولو استقرأنا التاريخ، وتأملنا قيام الحضارات وزوالها، لوجدنا أن وراء زوال أي حضارة من الحضارات البائدة انحطاط أخلاقها، كما يؤكد على هذا المعنى واحد من كبار الباحثين في الحضارات الإنسانية، وهو غوستاف لوبون، إذ يقول: «ونحن إذا بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع إلى انهيار الأمم، وهي التي حفظ لنا التاريخ خبرها كالفرس والرومان، وغيرهم وجدنا أن العامل الأساسي في سقوطها هو تغير مزاجها النفسي تغيرًا نشأ عنه انحطاط أخلاقها، ولست أرى أمة واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها»[٢].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه. ك البر والصلة ب تحريم الظلم ، من رواية جابر بن عبد الله ، مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٣٤ رقم ٢٥٧٨.

(2) مكارم الأخلاق للإمام الطبراني. تحقيق د/ فاروق حمادة ص ٧.

من مقدمة المحقق، نقلا عن غوستاف لوبون: الأسس النفسية لتطور الأمم ص١٧٢. ترجمة أكرم زعيتر.

هذا وقد أجاد الأستاذ أبو الأعلى المودودي، في تصوير الانحطاط الخلقي الذي انحدر إليه اليونان والرومان، وعرض صورًا منه، مما كان له أكبر الأثر في أن زالت حضاراتهما. وذلك في كتابه: الحجاب ص ٩ وما بعدها. دار التراث العربي. القاهرة.

وقد اعترف المؤرخون بأن السبب الرئيسي لسقوط (باريس) في الحرب العالمية الثانية، واستسلام الجيش الفرنسي أمام الجيش الألماني خلال أسبوعين، هو الانغماس في الشهوات والانكباب على اللذات، والخوف على مراقص ومواخر (باريس) من قنابل الألمان، مع أن خط ماجينو الدفاعي الذي أنشأته فرنسا لحمايتها، كان أحصن وأشد ما عرف من التحصينات الحربية في ذلك الحين، وكان خلف حصونه أربعة ملايين من الجنود الفرنسيين، بينما الألمان لم يكونوا أكثر عددًا وعدة، فقد كانوا لا يتجاوزن المليون، وإنما جاءت الهزيمة لأن الفرنسيين كانوا غرقى في الفجور والشهوات، حتى إن المارشال (بيتان) رئيس الدولة آنذاك صارح الشعب في خطابه في يونيه سنة (١٩٤٠م) موضحًا أسباب الهزيمة فقال: لقد جاءت الهزيمة من الانحلال، فدمرت روح الشهوات ما شيدته روح التضحيات، وإني أدعوكم أول كل شيء إلى نهوض الأخلاق... إنه لا سبيل لإنهاض فرنسا من كبوتها وإقالة عثرتها إلا بإقامة صرح الأسرة من جديد، وتقوية أواصرها وتقديس تقاليدها وأنظمتها[(١)].

ثم إن واقع المجتمعات الغربية ليشهد بأن تراخي عرى الأخلاق ما أضاف لهم سعادة أو استقرارًا، بل ما جنوا من ورائه إلا الفوضى

---

(1) المرأة المتبرجة وأثرها في الأمة. عبد الله التليدي. ص ١٦.
دار ابن حزم، بيروت ، ط الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م، نقلا عن خطر التبرج والاختلاط.

الاجتماعية وضياع الحياة الأسرية، وقلة الذرية، وزيادة أطفال الزنا والسفاح وكثرة اللقطاء، فمالِ هؤلاء القوم لا يعتبرون؟!.

وإذا كان الغربيون والأمريكيون قد انطمست بصائرهم، وعميت قلوبهم عن إدراك ضلال وفساد تلك المفاهيم التي تنطوي عليها ثقافة العولمة، ورضوا بها لأنفسهم ومجتمعاتهم، مع وقوع آثارها المريرة عليهم، فهم وشأنهم، ولكن ليس من حقهم أن يفرضوا وصايتهم على بقية المجتمعات، ويقوموا بنشر ثقافتهم تلك، بل ومحاولة فرضها على غيرهم، وليعلموا أن للآخرين عقائدهم وتقاليدهم التي ينبغي أن تحترم، وليعلم بنو قومنا أن أولئك الغربيين - من خلال عولمتهم - إنما يستدرجوننا إلى الإباحية السافرة، ويميلون بمجتمعاتنا إلى مهاوي الرذيلة والفواحش، وصدق الله القائل: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾[1].

(1) سورة النساء: ٢٧.

الفصل الثالث موقف الإسلام من العولمة الثقافية

ذكرنا من قبل أن العولمة الثقافية تعني محاولة تعميم أفكار ومفاهيم، ومبادئ ونظم، وقيم ومعتقدات، وأنماط من السلوك والعادات، وطرائق المعيشة الغربية الأمريكية، وإعطائها صبغة العالمية، ثم محاولة إحلالها، بل وفرضها على حساب الأفكار والثقافات والقيم والمبادئ والأخلاق والأنماط السلوكية والمعيشية الخاصة بالمجتمعات الأخرى، لاسيما المجتمعات الإسلامية.

فجوهرها قائم على فرض النمط الثقافي الغربي على المجتمعات الإسلامية -خاصة.

إذا أردنا أن نعرف موقف الإسلام من العولمة الثقافية؛ فإننا ينبغي أن نزنها بميزانه، ومن هذا المنطلق يتحدد واجبنا نحوها وموقفنا منها، وتعاملنا معها، وهذا ما نوضحه على النحو التالي:

العولمة الثقافية في ميزان الإسلام:

وإن أيَّ فكر أو ثقافة ينبغي أن يوزن في ميزان الكتاب والسنة، ويعرض عليها في ضوء فهم وتفسير الصحابة والسلف الصالح، ثم في ضوء ما قرره العلماء الأثبات من سلف الأمة وخلَفها من اجتهادات

واستنباطات، وما وضعوه من معايير وضوابط مستمدة من الشريعة الإسلامية، وفي ضوء ما هو مقرر من حقائق وثوابت متعارف عليها، فهذا هو ميزان الإسلام، وما وافقه من الأفكار والثقافات فيها ونعمت، وما خالفه، أي خرج عن الكتاب والسنة، كان من قبيل الفكر الدخيل، والثقافة المرفوضة.

قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

هذا والملاحظ أن هناك نوعين من الفكر والثقافة مختلفين:

الأول: فكر لا يختص بحضارة بعينها، أو قومية بذاتها، أو أهل دين مخصوصين، وإنما هو فكر مشترك لابد منه لإعمار الحياة لدى الناس أجمعين.

الثاني: فكر يتميز بالخصوصية، ويتسم بكونه مرتبطًا بقومية معينة أو عقيدة دون سواها، ويختلف باختلاف الحضارات، والعقائد والأديان.

فأما النوع الأول فهو فكر عام بين الأمم يتأثر فيه اللاحق بالسابق، وتنقله الأمم والمجتمعات عن بعضها، مستفيدة منه، ومضيفة إليه، ومطورة له، كما أنه ضروري لإعمار الكون واستمرار الإنسان في الحياة.

---

(1) سورة النساء: ٥٩.

ومن هذا القبيل العلوم التي مجالها الكون والطبيعة ونحوها، كالرياضيات والكيمياء والطب والهندسة، والزراعة، وفنون الحرب وما شابهها، مما يعتمد أساسًا على التجارب العلمية والمعملية، ويسودها الحياد العلمي.

وهذا النوع من الفكر والثقافة لا يرفضه الإسلام، ولا يمنع الأخذ به، والاستفادة منه، متى جاء بعد تجارب صادقة، ونظر معتبر، وأدلة على صوابه.

ولم يعرض المسلمون عبر التاريخ عن الاستفادة من علوم الآخرين التي تتصل بهذا النوع، انطلاقا من أن الإسلام لا يمانع منها ولا يرفضها؛ حيث إنه يدعو إلى العلم النافع، ويجعل النبي ﷺ من الحكمة ضالةً للمؤمن، فيقول -عليه الصلاة والسلام-: **«الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق الناس بها»**[1].

وقد أخذ النبي ﷺ في غزوة الأحزاب بما أشار به عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه من حفر الخندق، وكانت فكرة فارسية، فقد قال سلمان: **«يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا»** وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك[٢].

---

(1) أخرجه الترمذي في ك العلم. ب ما جاء في فضل الفقه على العبادة رقم ٢٦٩٦، وابن ماجه في ك الزهد ب الحكمة رقم ٤١٦٩.

(2) الرحيق المختوم. تأليف صفي الرحمن المباركفوري. ص ٣٤٠. دار الوفاء. المنصورة.

وأما الشق الآخر من الفكر الذي يدخل في صميم الخصوصية الحضارية التي تتمايز بتمايز الحضارات، فهو ذلك الذي تكون النفس الإنسانية موضوعًا لعلومه وفنونه وآدابه.. فهذه النفس الإنسانية التي تتميز مكوناتها وطبائعها ومفاتيح عوالمها، بتميز المذاهب والبيئات والفلسفات والمعتقدات؛ أي بتمايز الحضارات، لابد وأن تتمايز علومها -سياسة واجتماعًا وفلسفة واقتصادًا سياسيًّا- تبعاً لتمايز مادة: هذه العلوم.. فكما تميزت علوم المادة الثابتة بالعالمية، فغدت حقائقها وقوانينها مشتركاً إنسانيًّا عاماً تميزت وتتميز علوم النفس الإنسانية بالخصوصية الحضارية، التي تجعلها وثيقة الصلة بطبائع الأمم ومعتقدات الشعوب ومثلها وطرائقها في الحياة [1].

وعندما ننظر في ثقافة العولمة، أو العولمة الثقافية وقد عرضنا بعضاً من مظاهرها فإننا نجدها تدخل في دائرة الثقافات والأفكار التي تتسم بالخصوصية الحضارية، التي تختلف بحسب طبائع الأمم، ومعتقدات الشعوب والمجتمعات، بل هي تختلف وتتصادم صراحة مع خصوصيات الثقافة الإسلامية، ومعتقدات الشعوب المسلمة؛ لكونها نابعة من معتقدات أو مذاهب مغايرة تمامًا للإسلام في نظرتها إلى الإنسان والكون والحياة.

---

(1) الغزو الفكري وهم أم حقيقة. د/ محمد عمارة ص ٢٠، دار الشروق، القاهرة ط الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

وهذا النوع من الثقافات الفكرية النظرية الخاصة بغير الأمة الإسلامية، والنابعة من معتقدات غير المسلمين وطرائقهم في الحياة، يرفضه الإسلام، ولا يرضى به مزاحمًا أو بديلاً للثقافة الإسلامية.

ولقد حذر الإسلام أتباعه من تسرب الأفكار والثقافات غير الإسلامية، ونهاهم عن الوقوع فيها، أو التسرع في قبولها قبل تمحيصها وعرضها على الإسلام، وبين أنهم إن أصغوا إليها، وانقادوا لها؛ كانت العواقب وخيمة، والنتائج مريرة؛ إذ قد تؤدي مع الانقياد لها إلى خسارة الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

عن جابر ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ، أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ، فغضب، فقال: **«أمتهوكون[1] فيها يابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى -عليه السلام- كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني»[2].**

وفي رواية أخرى: **«والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني ضللتم، إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين»[3].**

---

(1) التهوك: كالتهور وهو الوقوع في الأمر بغير روية، والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٥/ ٨٢، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي . دار الفكر . بيروت. ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

(2) رواه الإمام أحمد في المسند ٤ / ٣٧٦ - ٣٧٧ رقم ١٤٧٣٦.

(3) رواه الإمام أحمد ٤ / ٥١٣ - ٥١٤ رقم ١٥٤٣٧.

وعن يحيى بن جعدة أن ناسًا من المسلمين أتوا نبي الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما نظر فيها ألقاها، ثم قال: «**كفى بها حماقة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاء به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم**» فنزلت: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1].

وفي ضوء ما ذكر يتبين الموقف الإسلامي من العولمة الثقافية ، التي تتضمن ثقافة غربية أمريكية مجافية لمعايير الإسلام، ومناقضة لتشريعاته، والمتصادمة مع خصوصيات المجتمعات الإسلامية النابعة من الدين الإسلامي، وهو الرفض التام لها، ولكل ما هو على شاكلتها من الثقافات والأفكار، انطلاقًا من نصوص الإسلام التي تحذر من شيوع الأفكار والثقافات غير الإسلامية، المتعارضة مع مبادئ الشريعة الإسلامية ومقاصدها، والمحذرة كذلك من الالتفات إليها، والانصياع لها؛ كي لا تذوب شخصية الأمة الإسلامية، أو تصير إمعة، فتؤول حالها إلى مآل مؤسف، ـ وربما إلى سقوط لا نهوض بعده، والعياذ بالله.

والواقع أن مضمون العولمة الثقافية -والذي أشرنا إلى بعض منه- لا يتصادم فقط مع الثقافة الإسلامية ومبادئ الإسلام، بل إنه مضمون يتصادم مع الفطرة السليمة، وتعافه النفس القويمة، وتمجه الطباع المستقيمة، ولا تسيغه إلا العقول السقيمة، والنفوس اللئيمة.

---

(1) رواه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢١/ ٧، دار الفكر. بيروت ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤، والآية ٥١ من سورة العنكبوت.

وهكذا نرى أن ثقافة العولمة الغربيـة الأمريكيـة ضـلال في ميـزان الإسلام والعقل والفطرة، ومع هذا فإن هناك كثيرًا من الناس كما قال رب العزة والجلال: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُـمْ أَضَـلُّ أُولَئِـكَ هُـمُ الْغَافِلُونَ**﴾[1]، هؤلاء للأسف يرحبون بثقافة العولمة الغربية، ويروجون لها، ويبشرون بها في عالمنا الإسلامي.

وهؤلاء القوم ليسوا إلا امتدادًا لركائز التغريب والعلمانية، ودعاة التحلل الخلقي والإباحية الكارهين للثقافـة الإسـلامية، والمسـتأجرين لمحاربتها، لصالح هذا المعسكر أو ذاك من معسكرات الكفر والضلال، في الشرق أو الغرب.

واجب علماء المسلمين:

تبصير الناس بحقيقة العولمة الثقافية، وتحذيرهم من أخطارها:

وهنا فإن الخطاب الدعوي الإسلامي من خلال علمـاء المسـلمين يجب أن يرتفع عاليًـا لتبصـير النـاس بحقيقـة العولمـة الثقافيـة الغربيـة الأمريكية، وبيان خطورتها، والتحـذير مـن عواقبهـا، والكشـف عـن عوراتها وضلالاتها، وما تنذر به من ضرر وبيل، وشر مستطير.

وإذا كانت العولمة بشكل عام واقعًا لا يمكن إنكاره أو تجاهله؛ فإن هذا لا يعني ضرورةً الخضوع له، والتسليم والقبول به، وحتمية ركوب

(1) سورة الأعراف: ١٧٩.

قطار هذه العولمة، وخاصة في جانبها الثقافي، الذي لا يستطيع أحد أن يوقفه في كيفية اتخاذ الموقف المناسب والمدروس من العولمة، وعلى أساسه نحسن التعامل معها بما يجنبنا أضرارها، ويحمينا من بلائها.

لقد جاء على عالمنا الإسلامي حين من الدهر عمَّته بلوى الاستعمار الأوربي الحديث.. ومن قبل واقع هذا الاستعمار الحديث، عاش عالمنا الإسلامي واقع الغزوة الصليبية التي دامت هي الأخرى قرنين من الزمان ٤٩٨ - ٦٩٠ هجرية ١٠٩٦ - ١٢٩١ م .. وإبان ذلك واجهت أمتنا واقع الاحتلال العسكري والنهب الاقتصادي، والاستعمار الاستيطاني.. وفي مفردات ذلك الواقع تحولت القدس إلى مدينة لا تينية صليبية.. والمسجد الأقصى إلى كنيسة .. والأزهر إلى اصطبل لخيل بونابرت والجزائر إلى قطعة من فرنسا.. إلخ .. إلخ، لكن الأمة تعاملت مع هذا الواقع حتى غيرته، ولم تقبل بذلك الواقع، أو تلحق به، أو تندمج فيه.. فالاعتراف بالواقع شيء والقبول به شيء آخر.. وتلك حقيقة يجب أن نكشف بها زيف التغريب الفكري، الذي جعل نفرًا من مثقفينا أشد حماسًا للعولمة الغربية، ولتحرير التجارة العالمية من جماهير غربية تظاهرت في سياتل وديفوس ١٩٩٩م وبانكوك سنة ٢٠٠٠م ضد هذه العولمة واصفة إياها بالإمبريالية الجديدة[١] .

---

(1) ويسألونك عن العولمة . د/ محمد عمارة. جريدة صوت الأزهر ص ٨ العدد ٣٧. الجمعة ٦ ربيع الأول ١٤٢١ هـ، ٩ يونيو ٢٠٠٠ م.

عليها التقرير الأصلي، ولكن من منطلقات عقدية وفكرية إسلامية، فكان معدِّلا للتقرير الأساسي، وناقضًا للمخالفات الشرعية والقيمية التي وردت فيه، وهو بحق جدير بأن يكون وثيقة إسلامية عالمية لكل ما يتعلق بشئون المرأة[1].

التأكيد على مبدأ عالمية رسالة الإسلام:

وفي مقابل طرح العولمة الثقافية، والترويج لها، والتبشير بمبادئها، فإن خطاب الدعوة الإسلامية ينبغي أن يتبنى التأكيد على مبدأ عالمية الرسالة الإسلامية التي جاء بها محمد بن عبد الله ﷺ، وأن هذه الرسالة أراد الله -تعالى- أن تكون خاتمة لرسالات الأنبياء السابقين، ومتممة لما شيدوه من صرح الهداية والرشاد.

وأن تكون ذات صبغة عالمية إنسانية؛ لأنها تناسب الإنسان كل الإنسان في كل عصر ومصر.

وهذا ما تنطق به نصوص القرآن الكريم الصريحة وأحاديث السنة النبوية الصحيحة.

فمنذ العهد المكي (بداية الدعوة الإسلامية) يؤكد القرآن الكريم على هذه الخاصية، فيقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ

(1) السابق ص ٣٤ بتصرف. وقد قامت المجلة بنشر الوثيقة مع بعض الاختصارات بنفس العدد المذكور.

جَمِيعًا﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[3].

ومما ورد في القرآن المدني قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[4] وغير ذلك من نصوص الكتاب العزيز.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء من قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»**.

وفي رواية أخرى لمسلم: **«كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود»**[5].

فرسالة الإسلام عامة لكل البشر، وجميع بني الإنسان، وليست لشعب دون شعب، أو خاصة بعقل دون عقل، أو مجتمع دون آخر،

---

(1) سورة الأعراف: ١٥٨.

(2) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(3) سورة سبأ: ٢٨.

(4) سورة النساء: ٧٩.

(5) رواه البخاري في ك التيمم ب قول الله تعالى: فلم تجدوا ماء فتيمموا فتح الباري ١/ ٥١٩ رقم ٣٢٥، ومسلم في ك المساجد. شرح النووي ٥ / ٣، ٥ رقم ٣٢٥، والنسائي في ك الغسل ب التيمم بالصعيد ١ / ٢٠٩ ـ ٢١١.

وهي جديرة بأن تكون عالمية وصالحة لكل الشعوب والمجتمعات؛ لكونها ربانية، مصدرها الوحي الإلهي الحكيم، ومن لدن عليم خبير، خلق الإنسان ويعلم ما فيه نفعه وضرره، ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1].

ثم إن حضارَة الإسلام المؤسسة على تعاليم شريعته، والمنطلقة من مبادئه، قد امتدت رقعتها قرونًا طويلة، وبسطت ظلالها على شعوب مختلفة، وأجناس عديدة، وقوميات متباينة، فما قصرت يومًا عن الوفاء بحاجات من آوى إليها، ونعم بظلالها من بني البشر، وما عجزت يومًا عن استيعاب مشكلات الإنسانية وإيجاد الحلول الصائبة، لها، فكانت أمان كل خائف، ودواء كل سقيم، وشفاء كل عليل، ومن أراد التأكد من هذه الحقيقة فإننا نحيله إلى شهادة التاريخ، فإن التاريخ شاهد عادل، لا يظلم ولا يجامل؛ ولهذا فهي جديرة بالعالمية.

وفي مقابل هذا، فإن الحضارة الغربية المادية لم تُسعد بني الإنسان، ولم تفلح في علاج مشكلات المجتمعات الإنسانية، بل إنها خلفت كثيرًا من المشكلات، وأفرزت كثيرًا من العطب، وسببت عديدًا من الأدواء التي أشقت البشرية، ومن يماري في هذا، فإننا نحيله أيضاً إلى حوادث التاريخ وسجلاته، ونطلب منه أن يحول بصره تجاه واقع الغربيين، وينظر بعين بصيرته فيما هم عليه –في ظل الحضارة الغربية المادية–

---

(1) سورة الملك: ١٤.

وسيدرك أن هذه الحضارة لم تسعد أهلها، وليس لها من الخصائص ما يؤهلها لأن تكون بديلاً عن ثقافة العالم كله.

ومن هنا فإن علينا أن نتبنى مبدأ «عالمية الرسالة الإسلامية» مع إبراز حيثيات وأسباب كون هذه الرسالة عالمية، مثل كونها ربانية، وشمولية، وواقعية، ولأنها تجمع بين الثبات والمرونة، وغير هذه الحيثيات[1]، مع بيان الحيثيات التي لا تؤهل الثقافة والحضارة الغربية لأن تكون عالمية لبني الإنسان.

عقد مؤتمرات إسلامية للنظر في أمر مواجهة العولمة الثقافية:

ثم إنَّ على مؤسسات وعلماء الدعوة الإسلامية -على المستويات الرسمية وغير الرسمية- أن تتبنى سياسة عقد مؤتمرات إسلامية محلية وعالمية، تتضمن ورش عمل، وحلقات نقاشية ودراسية، للخروج بخطط وتصورات سليمة ومدروسة من أجل مواجهة خطر العولمة الثقافية.

وهذه المؤتمرات تكون بصفة منتظمة، وتتسع دائرة المشاركة فيها أفقيًا، لتشمل علماء ومؤسسات الدعوة الإسلامية من شتى أقطار العالم الإسلامي، وتتسع نوعيًا، فلا تكون قاصرة على الممثلين للدعوة الإسلامية والمتخصصين فيها فقط، بل يشارك فيها أيضًا ممثلون عن دوائر الحكم وصناع القرار السياسي، والقائمون على أمر الإعلام

---

(1) لمن أرد المزيد من تفصيل هذه الخصائص، يراجع كتاب: خصائص التصور الإسلامي. للأستاذ سيد قطب وكتاب، الخصائص العامة للإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي.

والثقافة والتربية والتعليم والاقتصاد، وعلماء النفس والاجتماع، وكل من يمكن أن يكون له إسهام نافع من العلماء وأهل الذكر في مختلف التخصصات في العالم الإسلامي.

وينبغي أن تتمخض هذه المؤتمرات عن خطط محكمة، ورؤى واضحة، وبنود محددة، يعرف من خلالها كل قطاع من قطاعات المجتمع دوره وواجبه، وماله وما عليه، فتعرف الحكومات مسئولياتها، والأسرة واجباتها، وكل فرد مهمته ودوره؛ لينهض الجميع بتكليفاتهم ويؤدوا ما هو مطلوب منهم في درء هذا الخطر الماحق.

ولكي تنجح هذه المؤتمرات علينا أن نخلص النيات لله عز وجل، وأن نصلح ما بيننا وبين الله تعالى، وأن نوحد صفوفنا لتثمر جهودنا، وأن نعتمد التخطيط السليم المدروس، ونبتعد عن العفوية والعشوائية، وأن يستشعر الجميع المسئولية، وأن كل واحد يقف على ثغرة فلا تؤتى الأمةُ من قِبله، وأن نتحلى بالصبر والنَفَس الطويل والثقة في نصر الله عز وجل وتوفيقه، وعدم اليأس.

كما أن هذه المؤتمرات ينبغي أن تنبثق عنها لجان في شتى البلدان الإسلامية، لمتابعة تنفيذ ما نتج عنها من توجيهات وخطط وتوصيات، ورصد ما تم على أرض الواقع وما لم يتم، والعقبات والمبشرات ونحو هذه الأمور، ثم كتابة تقارير شاملة بهذا الخصوص، وعرضها على المؤتمرات اللاحقة لتقييم ما مضى والإفادة منه.

لسنا بدعًا في رفض ثقافة العولمة الغربية الأمريكية:

هذا وإننا إذ نسجل موقفنا الرافض والمناهض لمضامين العولمة الثقافية المخالفة لثقافتنا الإسلامية، يجدر بنا أن نشير إلى أننا لسنا بدعًا في مثل هذا التصرف، ولم نخرج عن مبادئ التحضر أو نتردى إلى مسالك التخلف والرجعية، كما يشنع أنصار الفكر الغربي والمتشيعين لثقافة العولمة؛ لأن لنا ذاتيتنا وهويتنا الإسلامية، ومرجعيتنا الشرعية الدينية، التي من البداهة أن نتحاكم إليها، وأن نلتزم بمبادئها ومقاصدها، وأن نتصرف ونبني مواقفنا في سائر شئوننا وفق ما تمليه علينا وما توجهنا إليه هذه المرجعية، وإلا فكيف نكون مسلمين إذًا؟!!.

إن الله تعالى يقول: **﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾**[1] ويقول **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**[2].

وهل يجد من يعيبون علينا هذا الفهم وهذا التصرف مجتمعًا من المجتمعات غير الإسلامية يرضي بأن تزاحم ثقافة أجنبية ثقافته المحلية، وتتصادم تقاليد غيره مع تقاليده المرعية؟

كلا... بل إن كل المجتمعات -على اختلافها- لتحرصُ على المحافظة على خصوصياتها الثقافية، وتقاليدها ومعتقداتها القومية.

---

(1) سورة النساء: ٥٩.

(2) سورة المائدة: ٥٠.

والواقع أننا نرى الدول الحريصة على مستقبلها، فضلا عن حاضرها، تتحاشى أي نوع من أنواع الاختراق الثقافي الخارجي، بشتى السبل.

فقد «شكَت وزيرةُ الثقافة اليونانية (ميلينا ميركوري) من أن بلدها قد دهمته الثقافة الأمريكية»[١].

وفي فرنسا صرح وزير الثقافة الفرنسي في السبعينيات أنه خائف من وقوع الشعب الفرنسي ضحية للاستعمار الأمريكي[٢].

وشكا رئيس وزراء كندا (بيارترودو) من تأثير الثقافة الأمريكية على الشعب الكندي[٣].

فتأمل تلك البلدان غير المسلمة التي لا يوجد كبير اختلاف في ثقافتها، بل بينها قواسم مشتركة في الدين والعادات، كيف تقف هذه المواقف الشديدة ضد اختراق ثقافة أخرى لها.

فلماذا نحن المسلمين الذين يجب علينا أن نفتح الأبواب لكل واردة وشاردة من الثقافات والأفكار، بدعوى تلاقي الحضارات، وتلاقح الأفكار، وحتمية الواقع، رفضنا أم وافقنا، وأن هذا من حق الحضارة الغالبة في فرض نفسها على الآخرين...إلخ؟!!.

---

(1) البث المباشر، حقائق وأرقام د/ ناصر بن سليمان العمر ص ٥٨، دار الوطن للنشر، الرياض ط الثانية ١٤١٢هـ ، نقلا عن أقمار القضاء غزو جديد ص ٥٢.
(2) السابق ص ٥٩، نقلا عن نفس المصدر ص ٥٢.
(3) أيضاً ص ٥٨ نقلا عن نفس المصدر ص ٥٩.

إننا لن نرضخ لهذا التضليل، ولن نرضى بهذا التخاذل وسنظل نعرِّي الباطل ونحذر من شره، ونـذيع الحـق ونـدعو إلى التمسـك بـه، وسيأتي يوم على الدنيا ينتصر فيه الحق، ويندحر الباطل، إن شاء الله.

﴿وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١].

﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

***

(1) سورة يوسف: ٢١.

(2) سورة الصف: ٨.

مراجع البحث

١- القرآن الكريم ....سبحان من أنزله.

٢- أحدث محاولة لتدمير الأسرة وفرض الإباحية على العالم، ملف بمجلة المجتمع الكويتية، العدد (١٤٠٤) ١١ ربيع الأول ١٤٢١هـ ١٣/ ٦/ ٢٠٠٠م.

٣- الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية. د/ محمود الخالدي. دار الفكر عمان .ط الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٤- البث المباشر حقائق وأرقام. د/ ناصر بن سليمان العمر. دار الوطن للنشر. الرياض. ط الثانية ١٤١٢هـ.

٥- الثقافة العربية؛ إسلامية أصولها وانتمائها، أنور الجندي . دار الكتاب اللبناني. بيروت ١٩٨٢.

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ابن جرير الطبري - دار الفكر . بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م.

٧- الدور الغائب: عالمية الإسلام . د/ عبد الحميد الغزالي جريدة آفاق عربية. يصدرها حزب الأحرار بمصر. العدد (٤٥٥) ٢٢ المحرم ١٤٢١هـ ٢٧أبريل ٢٠٠٠م.

٨- الرحيق المختوم . صفي الرحمن المباركفوري . دار الوفاء. المنصورة.

٩- سنن ابن ماجه. الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر.

١٠- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق صدقي محمد جميل العطار. دار الفكر . بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١١- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . دار الحديث . القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٢- صحيح مسلم بشرح النووي. دار الريان . القاهرة.

١٣- عولمة جسد المرأة . عمرو عبد الكريم . مجلة المجتمع الكويتية العدد (١٣١٧) ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٩هـ ١٥/ ٩/ ١٩٩٨م.

١٤- العولمة وأثرها على اقتصاديات الدول الإسلامية . محمد آدم. بحث بمجلة النبأ. تصدر عن المستقبل للثقافة والعلوم . بيروت . العدد (٤٢) ذو القعدة ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

١٥- الغزو الفكري وهم أم حقيقة . د / محمد عماره. دار الشروق . القاهرة. ط الأولى ١٩٨٩م.

١٦ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني. دار الريان - القاهرة ط الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

١٧- المرأة في المغرب: تنمية أم عولمة. بحث مكتوب بموقع Islam Online بشبكة الإنترنت.

١٨- المرأة المتبرجة وأثرها السيئ في الأمة . عبد الله التليدي . دار ابن حزم . بيروت . ط الثانية ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١٩- المستشرقون والإسلام . زكريا هاشم زكريا. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

٢٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني . دار إحياء التراث العربي . بيروت ط. الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٢١- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر من خلال ثلاثمائة وثيقة سياسية ظهرت خلال القرن الرابع عشر الهجري. أنور الجندي. دار الاعتصام.

٢٢- المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. القاهرة.

٢٣- معلمة الإسلام . أنور الجندي . المكتب الإسلامي بيروت.

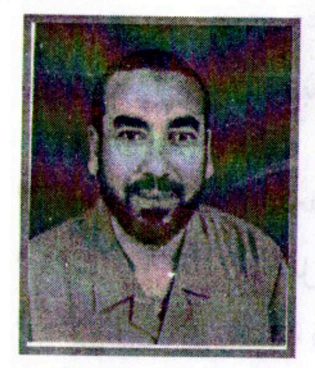
٢٤- مكارم الأخلاق للإمام الطبراني . تحقيق د/ فاروق حمادة. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة السعودية.

٢٥- من التبعية إلى الأصالة . أنور الجندي . ط الثالثة ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٢٦- ويسألونك عن العولمة. د/ محمد عماره . سلسلة بحوث بجريدة صوت الأزهر. العدد (٣٣) ٨ صفر ١٤٢١هـ ١٢ مايو ٢٠٠٠م، وفي أعداد تالية من نفس الجريدة.

***

فهرس الموضوعات



التعريف بالمؤلّف

- الأستاذ الدكتور إسماعيل علي محمد
- ولد عام ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، في قرية كفر حماد مركز كفر صقر محافظة الشرقية بمصر.
- حاصل على الإجازة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة جامعة الأزهر عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م -قسم الدعوة والثقافة الإسلامية- بتقدير عام «جيد جدًّا».
- ثم على درجة التخصص (الماجستير) في الدعوة والثقافة الإسلامية من كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة عام ١٤١٢هـ ١٩٩٢م بتقدير «ممتاز».
- ثم على درجة العالِمية (الدكتوراه) من كلية أصول الدين بالقاهرة جامعة الأزهر عام ١٤١٦هـ ١٩٩٦م في أصول الدين في الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير «مرتبة الشرف الأولى».
- عمل بالتدريس في كليات أصول الدين والدعوة بشبين الكوم والمنصورة ، والدراسات الإسلامية والعربية بالمنصورة ودمياط ، بجامعة الأزهر، وفي معهد إعداد الدعاة بوزارة الأوقاف ، وكلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الملك خالد بالسعودية.
- له نشاط في الدعوة إلى الله تعالى منذ زمن بعيد في مصر وخارجها، حيث زار بعض البلدان العربية وكذلك بعض المراكز الإسلامية في أمريكا .
- يعمل الآن أستاذا بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة -جامعة الأزهر وجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية.

صدر للمؤلف من البحوث والمؤلفات نحو ستة عشر مؤلفًا، منها:

- الغزو الفكري .. التحدي والمواجهة.
- صور من حقوق الطفل في الإسلام.
- الاستشراق بين الحقيقة والتضليل.. مدخل علمي لدراسة الاستشراق.
- فن كتابة الثقافة الإسلامية للطفل.
- القدوة وأثرها في الدعوة إلى الله تعالى.
- الغزو الفكري في وسائل ثقافة الطفل المسلم.. مظاهره وآثاره.
- مفتريات المستشرقين وعملائهم على الإسلام .. [رد على كتاب «محمد واليهود نظرة جديدة»].
- الجذور الفكرية لانحراف الشخصية اليهودية .
- مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية .
- أساطير عبد الصبور شاهين حول أبيه آدم .. [رد على كتاب «أبي آدم.. قصة الخليقة بين الأسطورة والحقيقة»].

رؤية للطباعة والتجهيز الفني
0102776775

منذ أفل نجم الاتحاد السوفيتي البائد، وانتهى كيانه مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين الميلادي، وخبت بانتهائه جذوة ما كان يُعرَف بالحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي الغربي، والشيوعي الشرقي؛ منذ ذلك الحين ظهر في الأفق مصطلح (العولمة)، كإحدى أدبيات ومفردات ما يُسمَّى (بالنظام العالمي الجديد)، الذي تتزعمه وتحاول أن تُسيطر على زمامه أمريكا.

ويُعدّ الجانب الثقافي أو (العولمة الثقافية) أخطر جوانب العولمة، وأشدّها حساسية، حيث يحمل في مضامينه ثقافة غربية أمريكية مجافية لمعايير الإسلام ومبادئه، ومناقضة لشريعته، بل تتصادم مع الفطرة السليمة، وتعافها النفوس القويمة، وتمجها الطباع المستقيمة، ولا تسيغها إلا العقول السقيمة، والنفوس اللئيمة.

ويأتي هذا البحث ليوضح حقيقة العولمة الثقافية الغربية الأمريكية ومخاطرها على الإنسانية، ويبينَ بالحجة والبرهان أنها -في ميزان الإسلام والفطرة- ضلال وفساد مبين، ويذكُرَ ببعض ما يجب سلوكه واتخاذه تجاه هذه العولمة الثقافية الخطيرة.



Mobil : 0102776775
Email: tnweer2005@hotmail.com